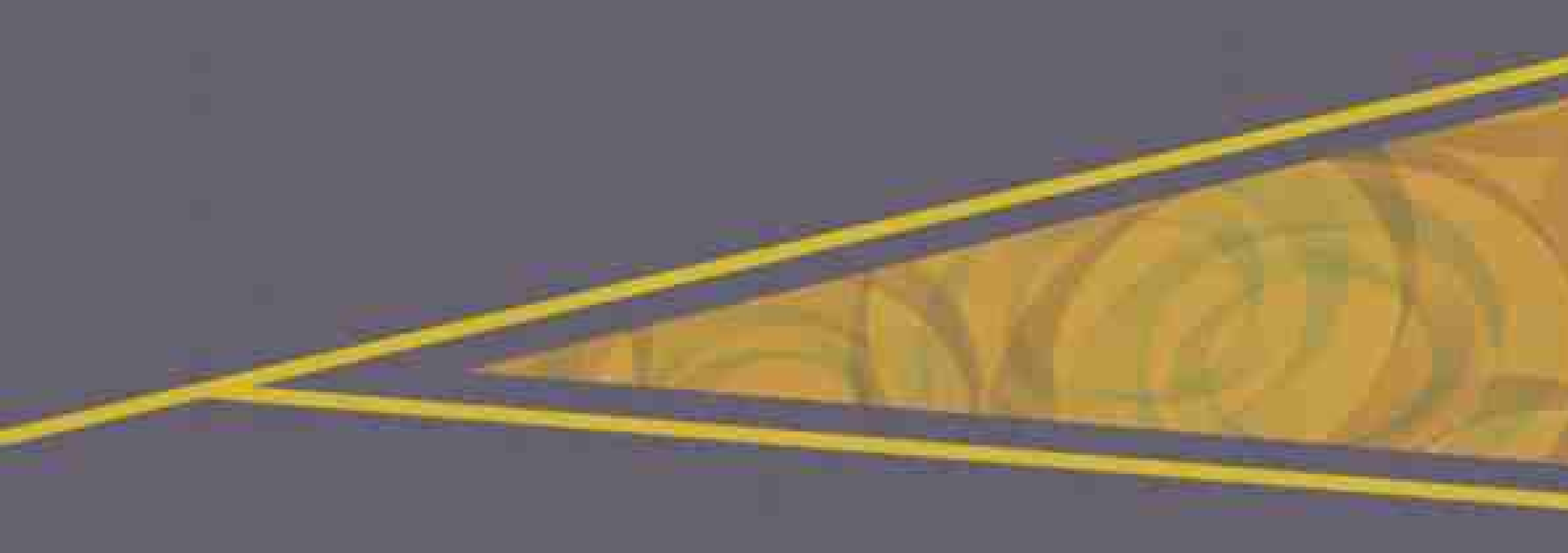


الدّلائل في حُكم موالاة أهل الإشراك

ويليه

أوثق عُرى الإيمان



للشيخ
سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهّاب
رحمهم الله

الدلائل
في حكم موالاة أهل الإشراك

ويليه

أوثق عرى الإيمان

للشيخ

سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهَّاب (رحمهم الله)

المتوفى سنة ١٢٣٣ هـ





الطبعة الأولى
مطابع الدَّولة الإسلاميَّة
ذو الحجَّة ١٤٣٦هـ

مُقَدِّمَة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإنَّ (**الولاء والبراء**) مِنْ أعظمِ أُصولِ الدِّينِ وأرسخِ قواعدِ الإسلام، ولا يتحقَّقُ توحيدُ العبدِ إلا بالموالاةِ في الله والمعاداةِ في الله والحبِّ في الله والبُغضِ في الله، فيوالي ويحبُّ وينصرُ أهلَ الإسلام، ويعادي ويُبغضُ ويجاهدُ أهلَ الشرك ويتبرَّأُ منهم.

عقيدةٌ راسخةٌ رسوخَ الجبال، ليسَ في كتابِ الله تعالى حُكْمٌ فيه مِنَ الأدلَّةِ أكثرَ ولا أبينَ مِنَ الولاء والبراء، بعدَ وجوبِ التَّوحيدِ وتحريمِ ضدِّه[1]، وكذا السِّيرةُ تزخرُ بالولاء والبراء قولاً وعملاً، مِنْ سُنَّتِه (صلواتُ الله وسلامهُ عليه)، وسُنَّةِ صحابتِه (رضوانُ الله عليهم).

لكنَّ طواغيتَ العَصرِ حَرصُوا على محاربةِ الولاءِ والبراءِ بشتَّى الوسائل، فروَّجوا للتَّعايشِ السِّلمي بينَ بني البشر (مسلمِهم وكافرِهم)، وابتدعوا الوطنيةَ والقوميةَ اللَّتَينِ تفرضانِ الولاءَ والمحبَّة والنُّصرةَ لابنِ الوطنِ والقوميةِ وإنْ كانَ مِنْ أكفرِ الكافرين، وأشاعوا احترامَ الكفَّارِ

(١) سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدِّين والأتراك، لحمد بن عتيق النَّجدي.

الأصليينَ المحاربينَ بحُجَّة أنَّهم أهلُ عهدٍ وذِمَّةٍ، واحترامَ المرتدِّينَ بذريعةِ حُـرِّية المعتقد والدِّين... وبالمقابل نابذوا الموحِّدينَ ونكَّلوا بهم حتى غدَوا –وهم في بُلدانهم– بينَ قتيلٍ وأسيرٍ وشريد.

وسياسةُ الطواغيتِ هذه خلطتِ المفاهيمَ على أهلِ زماننا، ونشأ بيننا مَنْ ينتسبُ للإسلامِ ولا يعرفُ أصلَ دينه! و"أصلُ الدِّين وقاعدتُه أمران: الأول: الأمرُ بعبادةِ الله وحده لا شريك له، والتحريضُ على ذلك، **والموالاةُ فيه، وتكفيرُ مَنْ تركَه**، والثاني: الإنذارُ عن الشركِ في عبادةِ الله، والتغليظُ في ذلك، **والمعاداةُ فيه، وتكفيرُ مَنْ فعلَه**"[1].

وهذا الكتابُ المفيدُ الَّذي بينَ أيدينا يضمُّ رسالتينِ قيِّمتينِ مِنْ أهمِّ رَسائلِ الولاءِ والبراء، وهما: **(الدَّلائلُ في حُـكْمِ مُوالاةِ أهلِ الإشـراك)** و**(أوثقُ عُرى الإيمان)**، وكلتاهما للشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهَّاب[2] (رحمهم الله)، فنسأل الله تعالى أنْ ينفع بهما المسلمين.



الدَّولة الإسلاميَّة
ذو الحجَّة ١٤٣٦ هـ

(١) الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة، لأبي عبد الله محمد بن عبد الوهَّاب.

(٢) هو الشيخ العلَّامة سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهَّاب بن سليمان بن علي التميمي النَّجدي المولود سنة ١٢٠٠ هـ في بلدة الـدِّرعية التي تقع الآن شمال غرب مدينة الرِّياض في هضبة نجد في الجزيرة العربية، والمتوفى سنة ١٢٣٣ هـ (رحمه الله وأسكنه فسيح جنَّاته).



الدلائل
في حكم موالاة أهل الإشراك



قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهَّاب (رحمه الله):

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ-:

أنَّ الإنسانَ إذا أظهرَ للمشركينَ الموافقةَ على دينهم؛ خوفاً منهم ومداراةً لهم ومداهنة لدفع شرهم؛ فإنه كافرٌ مثلُهم، وإنْ كان يكرهُ دينَهم ويبغضُهم، ويُحبُّ الإسلامَ والمسلمين.

هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك؛ فكيف إذا كان في دار مَنَعَة، واستدعى بهم، ودخل في طاعتهم، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل، وأعانهم عليه بالنَّصرة والمال، ووالاهم، وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين، وصار مِنْ جُنود الشرك والقِباب وأهلِها، بعدما كان مِنْ جُنود الإخلاص والتوحيد وأهله!! فإنَّ هذا لا يَشُكُّ مسلمٌ أنه كافر، مِنْ أشدِّ الناس عداوة لله ورسوله (صلَّى الله عليه وسلَّم).

ولا يُستثنى مِنْ ذلك إلا الـمُكره: وهو الَّذي يستولي عليه المشركون، فيقولون له: اكفرْ، أو افعلْ كذا؛ وإلَّا فعلنا بك وقتلناك، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم؛ فيجوز له الموافقة باللسان، مع طمأنينة القلب بالإيمان.

وقد أجمعَ العلماءُ على أنَّ مَنْ تكلَّم بالكفر هازلاً أنه يكفر؛ فكيف بمَنْ أظهر الكفرَ خوفاً وطمعاً في الدنيا؟!

وأنا أذكرُ بعضَ الأدلة على ذلك، بعون الله وتأييده:

الدليل الأول: قول الله تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة: ١٢٠].

فأخبر تعالى أنَّ اليهود والنصارى وكذلك المشركون، لا يرضون عن النَّبيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) حتى يتَّبع ملتَهم ويشهدَ أنهم على حق.

ثم قال: {قُلْ إِنَّ هُدَى الله هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ الله مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ} [البقرة: ١٢٠]، وفي الآية الأخرى: {إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: ١٤٥].

فإذا كان النَّبيُّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) لو يوافقهم على دينهم ظاهراً -مِنْ غير عقيدة القلب، لكنْ خوفاً مِنْ شرِّهم ومداهنةً- كان مِنَ الظالمين، فكيف بمَنْ أظهر لِعُبَّاد القبور والقِباب أنهم على حقٍّ وهدىً مستقيم؟! فإنهم لا يرضون إلا بذلك.

الدليل الثاني: قول الله تعالى: {وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ١٢٧].

فأخبر تعالى أنَّ الكفَّار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردُّوهم عن دينهم إنْ استطاعوا، ولم يرخِّص في موافقتهم خوفاً على النَّفس والمال والحرمة، بل أخبر عمَّنْ وافقهم بعد أنْ قاتلوه لِيدفعَ شرَّهم أنه مرتد، فإنْ ماتَ على ردته بعد أنْ قاتله المشركون؛ فإنه مِنْ أهل النار الخالدين فيها، فكيف بمَنْ وافقهم مِنْ غير قتال؟!

فإذا كان مَنْ وافقهم بعد أنْ قاتلوه لا عذرَ له؛ عرفتَ أنَّ الَّذين يأتون إليهم ويُسارعون في الموافقة لهم مِنْ غير خوفٍ ولا قتال؛ أنهم أولى بعدم العذر، وأنهم كفَّار مرتدون.

الدليل الثالث: قوله تبارك وتعالى: {لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} [آل عمران: ٢٨].

فَنَـهَى سبحانه المؤمنينَ عن اتخاذ الكافرينَ أولياءَ وأصدقاءَ وأصحاباً مِنْ دون المؤمنين وإنْ كانوا خائفين منهم، وأخبرَ أنَّ مَنْ فعل ذلك (فليس من الله في شيء)، أي: لا يكون مِنْ أولياء الله الموعودينَ بالنجاة في الآخرة، (إلا أنْ تتقوا منهم تقاة)، وهو أنْ يكونَ الإنسانُ مقهوراً معهم، لا يقدر على عداوتهم، فيُظهر لهم المعاشرة، والقلبُ مطمئنٌ بالبغضاء والعداوة وانتظارِ زوال المانع، فإذا زالَ رجعَ إلى العداوة والبغضاء.

فكيف بمَنْ اتخذهم أولياءَ مِنْ دون المؤمنين مِنْ غير عذر، إلا استحباب الحياة الدنيا على الآخرة، والخوف مِنَ المشركين وعدم الخوف مِنَ الله؟! فما جعلَ الله الخوف منهم عذراً؛ بل قال تعالى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٧٥].

الدليل الرابع: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} [آل عمران: ١٤٩].

فأخبر تعالى: أنَّ المؤمنينَ إنْ أطاعوا الكفَّار؛ فلا بدَّ أنْ يردُّوهم على أعقابهم عن الإسلام، فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر، وأخبر أنهم إنْ فعلوا ذلك؛ صاروا مِنَ الخاسرينَ في الدنيا والآخرة، ولم يُرَخِّص في موافقتهم وطاعتهم خوفاً منهم.

وهذا هو الواقع؛ فإنهم لا يقتنعون ممَّنْ وافقهم إلا بشهادة أنهم على حق، وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين، وقطع اليد منهم.

ثم قال: {بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ} [آل عمران: ١٥٠]، ففي ولايته وطاعته غُـنْـيَـةٌ وكفايةٌ عن طاعة الكفَّار.

فيا حسرةً على العبادِ الَّذين عرفوا التوحيد ونشؤوا فيه ودانوا به زماناً؛ كيف خرجوا عن ولاية ربِّ العالمين وخير النَّاصرين، إلى ولاية القِباب وأهلِها ورضوا بها بدلاً عن ولاية مَنْ بيده ملكوت كلِّ شيء؟! {بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً} [الكهف: ٥٠].

الدليل الخامس: قوله تعالى: {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [آل عمران: ١٦٢].

فأخبرَ تعالى أنه لا يستوي مَنْ اتَّبع رضوانَ الله، ومَنْ اتَّبع ما يُسخِطُه، ومأواه جهنم يوم القيامة، ولا ريبَ أنَّ عبادةَ الرحمنِ وحدَه ونَصْرَها وكونَ الإنسان مِنْ أهلها؛ مِنْ رضوان الله، وأنَّ عبادة القباب والأموات ونصرَها والكونَ مِنْ أهلها؛ مما يُسخِطُ الله، فلا يستوي عند الله مَنْ نَصَرَ توحيدَه ودعوتَه بالإخلاص وكان مع المؤمنين، ومَنْ نصرَ الشرك ودعوة الأموات وكان مع المشركين.

فإنْ قالوا: خِفنا! قيل لهم: كذبتم، وأيضاً فما جعلَ اللهُ الخوفَ عُذراً في اتِّباعِ ما يُسخِطُه واجتنابِ ما يُرضِيه.

وكثيرٌ مِنْ أهل الباطل إنما يتركونَ الحقَّ خوفاً مِنْ زوال دنياهم، وإلَّا فهم يَعرِفون الحقَّ ويعتقدونه، ولم يكونوا بذلك مسلمين.

الدليل السادس: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْـمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرا} [النِّساء: ٩٧].

أي: في أيِّ فريق كنتم؟ أفي فريق المسلمين أم في فريق المشركين؟

فاعتذَروا عن كونهم ليسوا في فريق المسلمين بالاستضعاف، فلم تعذرهم الملائكة، وقالوا لهم: {قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً} [النِّساء: ٩٧].

ولا يَشُكُّ عاقلٌ أنَّ أهلَ البلدان الَّذين خرجوا عن المسلمين، وصاروا مع المشركين وفي فريقِهم وجماعتهم؛ أعظمُ ممَّن ترك الهجرةَ مَشَحَّةً بوطنه وأهله وماله، هذا مع أنَّ الآية نزلتْ في أُناس مِنْ أهل مكة، أسلموا واحتُبسوا عن الهجرة، فلَمَّا خرجَ المشركون إلى بدر، أكرهوهم على الخروج معهم، فخرجوا خائفين، فقتلَهم المسلمونَ يومَ بَدْر، فلمَّا علموا بقتلِهم تأسَّفوا وقالوا: قتلْنا إخواننا! فأنزل الله فيهم هذه الآية.

فكيف بأهل البلدان، الَّذين كانوا على الإسلام، فخلعوا رِبقَـتَه مِنْ أعناقهم، وأظهروا لأهل الشرك الموافقةَ على دينهم، ودخلوا في طاعتهم وآووهم ونصروهم، وخذلوا أهل التوحيد، وابتغوا غير سبيلهم وخطَّؤوهم، وظهر فيهم سبُّهم وشتمُهم وعيبُهم والاستهزاءُ بهم وتسفيهُ رأيِهم في ثباتِهم على التوحيد والصبر عليه وعلى الجهاد فيه، وعاونوهم على أهل التوحيد طوعاً لا كرهاً، واختياراً لا اضطراراً؟! فهؤلاء أولى

بالكفر والنار، مِنَ الَّذين تركوا الهجرة شُحّاً بالوطن وخوفاً مِنَ الكفَّار وخرجوا في جيشهم مكرهين خائفين.

فإن قال قائل: هلَّا كان الإكراهُ على الخروج عذراً للذين قُتلوا يوم بدر؟

قيل: لا يكونُ عذراً، لأنهم في أول الأمر لم يكونوا معذورين، إذ أقاموا مع الكفَّار، فلا يُعذرون بعد ذلك بالإكراه، لأنَّهم السببُ في ذلك، حيث أقاموا معهم وتركوا الهجرة.

الدليل السابع: قوله تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ} [النِّساء: ١٤٠].

فَذَكَرَ تعالى أنه نزَّل على المؤمنين في الكتاب، أنهم إذا سمعوا آيات الله يُكفَر بها ويُستهزَأ بها، فلا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وأنَّ مَنْ جلسَ مع الكافرين بآيات الله المستهزئينَ بها في حال كفرهم واستهزائهم؛ فهو مثلهم، ولم يفرِّقْ بين الخائف وغيره إلا المكره.

وهذا وَهُمْ في بلدٍ واحد في أول الإسلام، فكيف بمَنْ كان في سعة الإسلام وعزِّه وبلاده، فدعا الكافرين بآيات الله المستهزئينَ بها إلى بلاده،

واتَّخذهم أولياءَ وأصحاباً وجُلساء، وسمع كفرَهم واستهزاءَهم، وأقرَّهم، وطردَ أهل التوحيد وأبعدهم؟!

الدليل الثامن: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [المائدة: ٥١].

فـنَـهَى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وأخبر أنَّ مَنْ تولَّاهم مِنَ المؤمنين فهو منهم، وهكذا حكمُ مَنْ تولَّى الكفَّار مِنَ المجوس وعبَّاد الأوثان؛ فهو منهم.

فإنْ جادلَ مجادلٌ في أنَّ عبادةَ القِباب ودعاءَ الأموات مع الله ليس بشرك، وأنَّ أهلَها ليسوا بمشركين؛ بَانَ أمرُه واتَّضحَ عِنادُه وكفرُه.

ولم يفرِّق تعالى بين الخائف وغيره، بل أخبر الله تعالى أنَّ الَّذين في قلوبهم مرضٌ يفعلون ذلك خوفاً مِنَ الدوائر؛ وهكذا حال هؤلاء المرتدِّين، خافوا مِنَ الدوائر، فزالَ ما في قلوبهم مِنَ الإيمان بوعد الله الصادق بالنصر لأهل التوحيد، فبادروا وسارعوا إلى الشرك، خوفاً أنْ تصيبهم دائرة، قال الله تعالى: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ

فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} [المائدة: ٥٢].

الدليل التاسع: قوله تعالى: {تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ} [المائدة: ٨٠].

فَذَكَرَ تعالى أَنَّ موالاةَ الكفَّار موجِبةٌ لِسَخَط الله والخلودِ في النار بمجرَّدها وإنْ كان الإنسانُ خائفاً، إلا الـمُكره بِشَرْطِه[1]؛ فكيف إذا اجتمعَ ذلك مع الكفر الصريح، وهو: معاداة التوحيد وأهله، والمعاونة على زوال دعوة الله بالإخلاص، وعلى تثبيت دعوة غيره؟!

الدليل العاشر: قوله تعالى: {وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة: ٨١].

(١) يقصد: إلا الإكراه الَّذي تتحقَّقُ شروطُه، والتي منها: أنْ يكون فاعلُه قادراً على إيقاع ما يهدِّد به، والمأمورُ عاجزاً عن الدفع، وأنْ يغلبَ على ظنه أنه إذا امتنعَ أوقعَ به ذلك، وأنْ يكون ما هدَّده به فورياً،... وغيرها من شروط الإكراه المبسوطة في كتب أهل العلم.

فَذَكَرَ تعالى أنَّ موالاة الكفَّار منافية للإيمان بالله والنَّبيِّ وما أُنزل إليه، ثم أخبر أنَّ سبب ذلك كون كثير منهم فاسقين، ولم يفرِّق بين مَنْ خاف الدائرة ومَنْ لم يخف.

وهكذا حال كثير مِنْ هؤلاء المرتدِّين قبل ردتهم، كثيرٌ منهم فاسقون، فَجَرَّ ذلك إلى موالاة الكفَّار والرِّدَّة عن الإسلام(1)، نعوذ بالله مِنْ ذلك.

الدليل الحادي عشر: قوله تعالى: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} [الأنعام: ١٢١].

وهذه الآية نزلتْ لـمَّا قال المشركون: "تأكلونَ ما قتلتُم، ولا تأكلون ما قتلَ الله!"؛ فأنزل الله هذه الآية(2).

فإذا كان مَنْ أطاعَ المشركينَ في تحليل الـمَيتة مشركاً، مِنْ غير فَرْقٍ بين الخائف وغيره، إلا المكره، فكيف بمَنْ أطاعهم في تحليل موالاتهم، والكون معهم، ونصرهم، والشهادة أنهم على حق، واستحلال دماء

(١) يقصد: الَّذينَ ارتدُّوا من أهل نجد بموالاتهم للجيوش التركية الغازية، فهؤلاءِ بالأصل فَسَقَة، وفُسقُهم جرَّهم إلى استقبال المرتدِّين من الأتراك وموادعتهم ومعاونتهم كي يسلموا من شرِّهم؛ فَكَفَرُوا بذلك.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، المعروف بـ(تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

المسلمين وأموالهم، والخروج عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين؟! فهؤلاء أولى بالكفر والشرك ممَّنْ وافقهم على أنَّ الـمَيتة حلال.

الدليل الثاني عشر: قوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ} [الأعراف: ١٧٥].

وهذه الآية نزلتْ في رجلٍ عالمٍ عابد، في زمان بني إسرائيل، يُقال له: (بِلْعَام) وكان يعلمُ الاسمَ الأعظم[(١)].

قال ابنُ أبي طلحة عن ابن عباس (رضي الله عنه): "لـمَّا نزلَ بهم موسى (عليه السلام) -يعني بالجبَّارين- أتوه بنو عمِّه وقومُه، فقالوا: إنَّ موسى رجلٌ حديد[(٢)]، ومعه جنود كثيرة، وإنه إنْ يظهر علينا يُهلكنا، فادعُ اللهَ أنْ يَردَّ موسى ومَنْ معه. قال: إني إنْ دعوتُ الله، ذهبتْ دنياي

(١) ورد ذكرُ (اسم الله الأعظم) في عدد من الأحاديث الصحيحة، منها حديث أنس (رضي الله عنه) أنَّ رسولَ الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) سمع رجلاً يدعو بدعاء، فقال: «لقد دعا الله تعالى باسمه العظيم الَّذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى» [رواه الترمذي وغيرُه].

(٢) "رجلٌ حديد: أي فيه قوةٌ وصلابة، ويغضبُ لانتهاك الحُـرُمات" [المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي]،

وآخرتي، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، فسلخه الله مما كان عليه، فذلك قوله تعالى: {فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ}"[١].

وقال ابنُ زيد: "كان هواهُ مع القوم، يعني الَّذين حاربوا موسى (عليه السلام) وقومه"[٢].

فَذَكَرَ تعالى أمرَ هذا الـمُنسَلِخ مِنْ آيات الله، بعد أنْ أعطاه الله إياها، وعَـرَفها وصارَ مِنْ أهلها، ثم انسلخَ منها، أي: تركَ العمل بها، وذكر في انسلاخه منها ما معناه: أنه مظاهرة المشركين ومعاونتهم برأيه، والدعاء على موسى (عليه السلام) ومَنْ معه أنْ يردَّهم الله عن قومه، خوفاً على قومه وشفقةً عليهم، مع كونه يعرف الحق ويقطع به ويتكلم به ويشهد به، ويتعبَّد، ولكنْ صدَّه عن العمل به متابعةُ قومه وعشيرته وهواه، وإخلادُه إلى الأرض؛ فكان هذا انسلاخاً مِنْ آيات الله.

وهذا هو الواقع مِنْ هؤلاء المرتدِّين، وأعظم؛ فإنَّ الله تعالى أعطاهم آياتِه التي فيها الأمر بتوحيده ودعوته وحده لا شريك له، والنَّهي عن الشرك به ودعوة غيره، والأمر بموالاة المؤمنين ومحبتهم ونصرتهم،

(١) تفسير القرآن العظيم، المعروف بـ(تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي.

(٢) تفسير الطبري.

والاعتصام بحبل الله جميعاً، والكون مع المؤمنين، والأمر بمعاداة المشركين وبغضهم وجهادهم وفراقهم، والأمر بهدم الأوثان، وإزالة القِحَاب واللِّواط والمنكرات، وعرفوها وأقرُّوا بها، ثم انسلخوا مِنْ ذلك كله، فهم أولى بالانسلاخ مِنْ آيات الله والكفر والرِّدَّة مِنْ بلعام، أو هُمْ مثلُه.

الدليل الثالث عشر: قوله تعالى: {وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ} [هود: ١١٣].

فَذَكَرَ تعالى أنَّ الرُّكونَ إلى الظَلَمة والكفَّار والظالمينَ موجبٌ لِمسيس النار، ولم يفرِّق بين مَنْ خافَ منهم وغيرِه، إلا المكره؛ فكيف بمَنْ اتَّخذ الرُّكونَ إليهم دِيناً ورأياً حسناً، وأعانهم بما قَدِرَ عليه مِنْ مالٍ ورأي، وأحبَّ زوالَ التوحيد وأهله، واستيلاء أهل الشرك عليهم؟! فإنَّ هذا مِنْ أعظم الكُفر والرُّكون.

الدليل الرابع عشر: قوله تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ

مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [النَّحل: ١٠٦-١٠٧].

فَحَكَمَ تعالى حُكْماً لا يُبدَّل: أنَّ مَنْ رَجَعَ عن دينه إلى الكفر فهو كافر، سواء كان له عذر، خوفاً على نفس أو مال أو أهل، أم لا، وسواء كَفَرَ بباطنه وظاهره، أم بباطنه دون ظاهره، وسواء كَفَرَ بفعاله أو مقاله، أو بأحدهما دون الآخر، وسواء كان طامعاً في دنيا ينالها مِنَ المشركين أم لا، فهو كافر على كل حال، إلا الـمُكْرَه، وهو في لغتنا: المغصوب.

فإذا أُكره إنسانٌ على الكفر، أو قيل له: اكفر وإلا قتلناك، أو ضربناك، أو أخذه المشركون فضربوه، ولم يمكنه التخلُّص إلا بموافقتهم؛ جازَ له موافقتُهم في الظاهر، بشرط أنْ يكون قلبُه مطمئناً بالإيمان، أي ثابتاً عليه معتقداً له، فأما إنْ وافقهم بقلبه، فهو كافرٌ ولو كان مكرهاً.

وظاهر كلام أحمد: أنه في الصورة الأولى، لا يكون مكرهاً حتى يعذِّبه المشركون، فإنَّه لـمَّا دخلَ عليه يحيى بن معين وهو مريض، فسلَّم عليه فلم يردَّ عليه السلام، فما زالَ يعتذر ويقول حديث عمار، وقال الله: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}، فقلبَ أحمدُ وجهَه إلى الجانب الآخر.

فقال يحيى: "لا يقبل عُذراً".

فلمَّا خرج يحيى، قال أحمد: "يحتج بحديث عمار، وحديث عمار: (مررتُ بهم وهم يسبُّونك، فنهيتُهم فضربوني)، وأنتم قيل لكم: نريد أنْ نضربكم".

فقال يحيى: "فما رأيتُ والله تحتَ أديم السماء أفقهَ في دين الله منك"[(١)].

ثم أخبرَ تعالى أنَّ هؤلاء المرتدِّين الشَّارحينَ صدورَهم بالكفر، وإنْ كانوا يقطعون على الحق ويقولون: ما فعلنا هذا إلا خوفاً؛ فعليهم غضبٌ مِنَ الله ولهم عذابٌ عظيم.

ثم أخبرَ تعالى أنَّ سببَ هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد للشرك أو الجهل بالتوحيد أو البغض للدِّين أو محبة الكفر، وإنما سببُه أنَّ

(١) وردتْ هذه القصة في: طبقات الحنابلة، لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى البغدادي الحنبلي.
وفيها أنَّ الإمام أحمد كان قد حَلَفَ بالعهد أنْ لا يكلِّمَ أحداً ممَّن أجابَ المأمون في ادِّعائه خلق القرآن حتى يلقى الله، وبدعة (خلق القرآن) من بدع المعتزلة، والقول بأنَّ القرآن مخلوق كُفر، لأنَّ القرآن هو كلام الله وصفة من صفاته، وأنَّه منزَّلٌ، تكلَّم به اللهُ تعالى حقيقةً، وأوحاه إلى نبييه محمد (صلَّى الله عليه وسلَّم).. والإمام يحيى بن معين ممَّن امتُحِنَ في فتنة خلق القرآن، فقال بخلق القرآن مُكرهاً متأوِّلاً قولَه تعالى: {إلا من أكره وقلبه مطمئنٌ بالإيمان}، فلم يعذره الإمام ابنُ حنبل، وهجرَه، لأنَّه رأى أنَّ الإكراه الَّذي وقع على الإمام ابنِ معين لم يكن إلا مجرد تهديد دون تعذيب، وذلك لا يبيحُ موافقة المسلم للكفَّار فيما يطلبونه منه، وفيه مساس بدينه، وهذا الفهم الصحيح للإمام أحمد شهد له الإمام يحيى بالصواب [وكذلك انظر: البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي].

له في ذلك حظَّـاً مِنْ حظوظ الدنيا، فآثره على الآخرة وعلى رضى ربِّ العالمين، فقال: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}، فكفَّرهم تعالى، وأخبرَ أنه لا يهديهم، مع كونهم يعتذرون بمحبَّة الدنيا.

ثم أخبرَ تعالى أنَّ هؤلاء المرتدِّين لأجلِ استحبابِ الدنيا على الآخرة، هم الَّذين طبعَ الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وأنهم الغافلون.

ثم أخبرَ خبراً مؤكَّداً محقَّقاً أنهم في الآخرة هم الخاسرون.

الدليل الخامس عشر: قوله تعالى عن أهل الكهف: {إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً} [الكهف: ٢٠].

فَذَكَرَ تعالى عن أهل الكَهْف أنهم ذكروا عن المشركين أنهم إنْ قهروكم وغلبوكم فهم بين أمرين: إما أنْ يرجموكم، أي: يقتلوكم شرَّ قتلة برجم، وإما أنْ يعيدوكم في ملتهم ودينهم، (ولن تفلحوا إذاً أبدا) أي: وإنْ وافقتموهم على دينهم بعد أنْ غلبوكم وقهروكم؛ فلن تفلحوا إذاً أبدا.

فهذا حالُ مَنْ وافقهم بعد أنْ غلبوه، فكيف بمَنْ وافقهم وراسلهم مِنْ بعيد، وأجابهم إلى ما طلبوا مِنْ غير غَلَبة ولا إكراه، ومع ذلك يحسبون أنهم مهتدون؟!

الدليل السادس عشر: قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْـخُسْرَانُ الْـمُبِينُ} [الحج: ١١].

فأخبرَ تعالى أنَّ مِنَ الناس مَنْ يعبدُ اللهَ على حرف، أي: على طَرَف، فإنْ أصابه خير أي: نَصْرٌ وعِزٌّ وصِحَّةٌ وسَعَةٌ وأمْنٌ وعافيةٌ ونحوُ ذلك؛ اطمأنَّ به، أي: ثَـبَتَ وقال: هذا دينٌ حَسَن، ما رأينا فيه إلا خيراً! وإنْ أصابته فتنة، أي: خوفٌ ومرضٌ وفقرٌ ونحو ذلك؛ انقلب على وجهه، أي: ارتدَّ عن دينه، ورجعَ إلى أهل الشرك!

فهذه الآية مطابقة لحال المنقلبين عن دينهم في هذه الفتنة[1]، سواءً بسواء؛ فإنهم قبل هذه الفتنة، يعبدون الله على حرف، أي: على طرف، ليسوا ممَّنْ يعبد الله على يقين وثبات، فلمَّا أصابتهم هذه الفتنة انقلبوا عن

(١) وهم مرتدُّو نَجْد الَّذين كشفتْ فتنةُ الغزو التركي حقيقتَهم، كما سبق بيانه.

دينهم، وأظهروا الموافقة للمشركين، وأعطوهم الطاعة، وخرجوا عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين، فهم معهم في الآخرة كما هم معهم في الدنيا، فخَسِروا الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

هذا مع أنَّ كثيراً منهم في عافية، ما أتاهم مِنْ عدو، وإنما ساء ظنهم بالله، فظنوا أنه يَدِيلُ[1] الباطلُ وأهلُه على الحقِّ وأهله، فأرْدَاهُم سوءُ ظنِّهم بالله، كما قال تعالى: {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [فصلت: ٢٣].

وأنتَ يا مَنْ مَنَّ الله عليه بالثبات على الإسلام، احْذَرْ أنْ يدخل في قلبك شيءٌ مِنَ الرَّيب، أو تحسين هؤلاء المرتدِّين، وأنَّ موافقتهم للمشركين وإظهار طاعتهم رأياً حسناً، حذراً على الأنفس والأموال والمحارم؛ فإنَّ هذه الشبهة، هي التي أوقعتْ كثيراً مِنَ الأولينَ والآخرينَ في الشرك بالله، ولم يعذرهم الله بذلك، وإلَّا فكثير منهم يعرفون الحقَّ ويعتقدونه بقلوبهم، وإنَّما يدينون لله بالشرك، للأعذار الثمانية التي ذكرها

(١) أدَالَ يَدِيلُ إدَالَة: وهي الغَلَبَةُ والنَّصْر، يُقالُ: أُدِيل لنا على أَعدائنا: أَي نُصِرْنا عليهم وكانت الغلبةُ لنا، ومنه حديث أَبي سُفْيان لِهِرَقْلَ في وصف حاله مع النَّبيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم): "نُدالُ عليه ويُدالُ علينا" أَي نَغْلِبه مرة ويَغلبنا أُخرى [لسان العرب].

الله في كتابه أو لبعضها، فلم يعذر بها أحداً ولا ببعضها، فقال: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: ٢٤].

الدليل السابع عشر: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} [محمد: ٢٥-٢٨].

فَذَكَرَ تعالى عن المرتدِّين على أدبارهم، أنهم مِنْ بعدِ ما تبيَّنَ لهم الهدى ارتدُّوا على علم، فلم ينفعهم علمهم بالحق مع الرِّدَّة، وغرَّهم الشيطان بتسويله وتزيين ما ارتكبوه مِنَ الرِّدَّة.

وهكذا حالُ هؤلاء المرتدِّين في هذه الفتنة، غرَّهم الشيطانُ فأوهمهم أنَّ الخوف عذرٌ لهم في الرِّدَّة، وأنهم بمعرفة الحق ومحبته والشهادة به لا

يضرهم ما فعلوه، ونسوا أنَّ مِنَ المشركينَ مَنْ يعرفون الحق ويحبونه ويشهدون به، ولكن يتركون متابعته والعمل به محبةً للدنيا، وخوفاً على الأنفس والأموال والمآكل والرياسات.

ثم قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ}، فأخبرَ تعالى أنَّ سبب ما جرى عليهم مِنَ الرِّدَّة، وتسويل الشيطان والإملاء لهم، هو قولُهم للَّذين كرهوا ما نزَّل الله: (سنطيعكم في بعض الأمر).

فإذا كان مَنْ وعدَ المشركينَ الكارهينَ لِـما أنزل الله طاعتَهم في بعض الأمر كافراً، وإنْ لم يفعل ما وعدهم به؛ فكيف بمَنْ وافق المشركين الكارهين لما أنزل الله مِنَ الأمر بعبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه مِنَ الأنداد والطواغيت والأموات، وأظهر أنهم على هدى، وأنَّ أهل التوحيد مخطئون في قتالهم، وأنَّ الصواب في مسالمتهم والدخول في دينهم الباطل؟! فهؤلاء أولى بالرِّدَّة مِنْ أولئك الَّذين وعدوا المشركينَ بطاعتهم في بعض الأمر.

ثم أخبرَ تعالى عن حالهم الفظيع عند الموت، ثم قال: {ذَلِكَ} أي: الأمر الفظيع عند الوفاة، {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}.

ولا يستريبُ المسلمُ أنَّ اتِّباع المشركين، والدخول في جملتهم، والشهادة أنهم على حق، ومعاونتهم على زوال التوحيد وأهله، ونصرة القباب والقحاب واللواط: مِنِ اتِّباع ما يسخطُ الله وكراهة رضوانه، وإنْ ادَّعوا أنَّ ذلك لأجل الخوف؛ فإنَّ الله ما عَذَرَ أهلَ الرِّدَّة بالخوف مِنَ المشركين، بل نهى عن خوفهم.

فأين هذا ممَّنْ يقول: ما جرى منا شيء، ونحن على ديننا؟!

الدليل الثامن عشر: قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الحشر: ١١].

فَعَقَدَ الله تعالى الأُخوَّةَ بين المنافقينَ والكفَّار، وأخبرَ أنهم يقولون لهم في السِّر: (لئن أخرجتم لنخرجن معكم) أي: لئن غلبكم محمد (صلَّى الله

عليه وسلَّم) وأخرجكم مِنْ بلادكم لنخرجنَّ معكم، (ولا نطيع فيكم أحداً أبداً) أي: لا نسمع مِنْ أحدٍ فيكم قولاً ولا نعطي فيكم طاعة، (وإنْ قوتلتم لننصرنكم) أي: إنْ قاتلكم محمد (صلَّى الله عليه وسلَّم) لننصرنكم ونكون معكم، ثم شهد الله: (إنهم لكاذبونَ) في هذا القول.

فإذا كان وعدُ المشركينَ في السرِّ بالدخول معهم، ونصرهم والخروج معهم إنْ أُجْلُوا نفاقاً وكفراً وإنْ كان كذباً؛ فكيف بمَنْ أظهر ذلك صادقاً، وقدم عليهم ودخل في طاعتهم ودعا إليها ونصرهم وانقاد لهم وصار مِنْ جملتهم، وأعانهم بالمال والرأي؟!

هذا مع أنَّ المنافقينَ لم يفعلوا ذلك إلا خوفاً مِنَ الدوائر، كما قال تعالى: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ} [المائدة: ٥٢].

هكذا حالُ كثير مِنْ هؤلاء المرتدِّينَ في هذه الفتنة، فإنَّ عُذْرَ كثير منهم هذا، هو العذرُ الَّذي ذكرَه الله عن الَّذين في قلوبهم مرض، ولم يعذرهم الله به، قال تعالى: {فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ

الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ} [المائدة: ٥٢-٥٣].

ثم قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْـمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} [المائدة: ٥٤].

فأخبرَ تعالى أنه لا بدَّ عند وجود المرتدِّينَ مِنْ وجود المحبين المجاهدين، ووصفهم بالذِّلَّة والتواضع للمؤمنين، والعزَّة والغِلظة والقسوة على الكافرين، بضدِّ مَنْ كان تواضعُه وذلُّه ولينُه لعُبَّاد القباب وأهل القحاب واللواط، وعزته وغلظته على أهل التوحيد والإخلاص؛ فكفى بهذا دليلاً على كفر مَنْ وافقهم، وإنِ ادعى أنه خائف، فقد قال تعالى: {وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ} [المائدة: ٥٤]؛ وهذا بضدِّ مَنْ يترك الصدق والجهاد خوفاً مِنَ المشركين.

ثم قال تعالى: {يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ} [المائدة: ٥٤]، أي: في توحيده، صابرين على ذلك ابتغاء وجه ربهم، لتكون كلمة الله هي العليا، {وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ}، أي: لا يُبالون بمَنْ لامَهم وآذاهم في دينهم،

بل يمضون على دينهم مجاهدين فيه، غير ملتفتين لِلَوم أحدٍ مِنْ الخلق، ولا لسخطه ولا لرضاه، وإنما هِمَّتُهم وغاية مطلوبهم رضى سيدهم ومعبودهم، والهرب مِنْ سخطه؛ وهذا بخلاف مَنْ كانت همته وغاية مطلوبه: رضى عبَّاد القباب، وأهل القحاب واللواط، ورجاءَهم، والهربَ مما يسخطهم، فإنَّ هذا غاية الضلال والخذلان.

ثم قال تعالى: {ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة: ٥٤]، فأخبر الله تعالى: أنَّ هذا الخير العظيم، والصفات الحميدة، لأهل الإيمان الثابتين على دينهم عند وقوع الفتن، ليس بحولهم ولا بقوتهم، وإنما هو فضلُ الله يؤتيه مِنْ يشاء، كما قال تعالى: {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [البقرة: ١٠٥].

ثم قال تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} [المائدة: ٥٥].

فأخبرَ الله تعالى خبراً بمعنى الأمر، بولاية الله ورسوله والمؤمنين، وفي ضمنه النهي عن موالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين، ولا يخفى أيُّ الحزبين أقرب إلى الله ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة: أأهلُ الأوثان

والقباب والقحاب واللواط والخمور والمنكرات، أم أهلُ الإخلاص وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة؟!

فالمتولي لضدِّهم واضِعٌ للولاية في غير محلها، مُستَبدِلٌ بولاية الله ورسوله والمؤمنينَ المقيمين للصلاة المؤتين للزكاة ولايةَ أهلِ الشرك والأوثان والقباب.

ثم أخبر تعالى: أنَّ الغَلبةَ لحزبه ومَنْ تولَّاهم، فقال: {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْغَالِبُونَ} [المائدة: ٥٦].

الدليل التاسع عشر: قوله تعالى: {لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} [الحديد: ٢٢].

فأخبر تعالى أنك لا تجدُ مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر يوادُّ مَنْ حادَّ الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب، وأنَّ هذا منافٍ للإيمان مضادٌّ له، لا يجتمعُ هو والإيمانُ إلا كما يجتمع الماء والنار.

وقد قال تعالى في موضع آخر: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [التوبة: ٢٣].

ففي هاتينِ الآيتينِ البيانُ الواضحُ أنه لا عذرَ لأحدٍ في الموافقة على الكفر خوفاً على الأموال والآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشائر ونحو ذلك مما يعتذر به كثير مِنَ الناس.

إذا كان لم يرخَّص لأحد في موالاتهم واتخاذهم أولياء بأنفسهم خوفًا منهم وإيثاراً لمرضاتهم؛ فكيف بمَنْ اتَّخذ الكفَّار الأباعد أولياءَ وأصحاباً، وأظهر لهم الموافقة على دينهم، خوفاً على بعض هذه الأمور ومحبةً لها؟!

ومِنَ العجب استحسانهم لذلك، واستحلالهم له، فجمعوا مع الرِّدَّة استحلالَ الحرام.

الدليل العشرون: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ} إلى قوله: {وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} [الممتحنة: ١]، أي: أخطأ الصراطَ المستقيم.

فأخبرَ تعالى أنَّ مَنْ تولَّى أعداءَ الله، وإنْ كانوا أقرباءَ وأصدقاء، فقد ضلَّ سواءَ السبيل، أي: أخطأ الصراط المستقيم، وخرج عنه إلى الضلال؛ فأين هذا ممَّن يدَّعي أنه على الصراط المستقيم، لم يخرج عنه؟! فإنَّ هذا تكذيبٌ لله، ومَنْ كذَّبَ الله فهو كافر، واستحلالٌ لما حرَّم الله مِنْ ولاية الكفَّار، ومَنْ استحلَّ محرماً فهو كافر.

ثم ذكرَ تعالى شبهةَ مَنْ اعتذر بالأرحام والأولاد، فقال: {لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الممتحنة: ٣]، فلم يعذرِ الله تعالى مَنْ اعتذر بالأرحام والأولاد والخوف عليهما ومشقة مفارقتهما، بل أخبرَ أنها لا تنفع يوم القيامة ولا تغني مِنْ عذاب الله شيئاً، كما قال تعالى في الآية الأخرى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون: ١١٠].

الدليل الحادي والعشرون: مِنَ السُّنَّةِ ما رواه أبو داود وغيرُه عن سَمُرَةَ بن جُنْدُب (رضي الله عنه) عن النَّبيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) أنه قال: «مَنْ جَامَعَ الْـمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَهُوَ مِثْـلُه».

فجعلَ (صلَّى الله عليه وسلَّم) في هذا الحديث مَنْ جامعَ المشركين، أي: اجتمعَ معهم وخالطَهم وسكنَ معهم، فهو مثلُهم؛ فكيف بمَنْ أظهر لهم الموافقة على دينهم، وآواهم وأعانهم؟!

فإنْ قالوا: خِفنا! قيل لهم: كذبتم، وأيضاً فليس الخوف بعذر، كما قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ} [العنكبوت: ١٠]، فلم يعذرِ الله تبارك وتعالى مَنْ يرجعُ عن دينه عند الأذى والخوف، فكيف بمَنْ لم يصبْه أذىً ولا خوف، وإنما جاء إلى الباطل محبةً له وخوفاً مِنَ الدوائر؟!

والأدلة على هذا كثيرة، وفي هذا كفاية لـمَنْ أراد الله هدايته، وأما مَنْ أرادَ اللهُ فتنتَه وضلالتَه، فكما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} [يونس: ٩٦-٩٧].

فنسأل الله الكريم المنان أنْ يُحيينا مسلمين، وأنْ يتوفانا مسلمين، وأنْ يلحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، برحمته وهو أرحم الراحمين.

وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

❋ ❋ ❋



أوثق عرى الإيمان



وسُئِلَ الشيخُ سليمان:

في أهلِ بلدٍ مرتدِّينَ أو بادية، وهم بنو عمٍّ لِـرَجُل، ويجيءُ لهم ذكرٌ عند الأمراء يتسبَّبُ بالدَّفع عنهم، حميةً دنيوية، إما بطرح نَـكَالٍ أو دَفنِ نقائصِ المسلمين، أو يُشيرُ بكفِّ المسلمينَ عنهم.

هل يكونُ هذا موالاةَ نفاق، أو يصيرُ كفراً ؟

وإنْ كان ما يقدرُ مِنْ نفسه أنْ يتلفَّظ بتكفيرهم وسبِّهم؛ ما حُكْمُه؟

وكذلك إذا عرفتَ هذا مِنْ إنسانٍ؛ ما يجبُ عليك؟

أفْتِنَا مأجوراً، وبيِّن لنا وجهَ الدليل على النفاق أو الكفر؟

جزاك الله خيراً.

فأجابَ (رحمه الله):

الحمدُ لله ربِّ العالمين.

يجبُ أنْ تعلم أولاً -أيَّدك الله تعالى بتوفيقه- أنَّ أوثقَ عُرى الإيمان الحبُّ في الله والبغضُ في الله، وأنَّ الله افترضَ على المؤمنينَ عداوةَ الكفَّارِ والمنافقينَ وجُفَاةِ الأعراب الَّذين يُعرَفون بالنفاق ولا يؤمنون بالله ورسوله (صلَّى الله عليه وسلَّم)، وأمرَ بجهادهم والإغلاظِ عليهم بالقول والعمل، وتوعَّدهم باللَّعن والقتل بقوله: {مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً} [الأحزاب: ١٦١]، وقطعِ الموالاة بين المؤمنينَ وبينهم، وأخبرَ أنَّ مَنْ تولَّاهم فهو منهم.

وكيف يدَّعي رجلٌ محبَّةَ الله، وهو يحبُّ أعداءَه الَّذين ظاهروا الشيطانَ على ربهم، واتَّخذوه ولياً مِنْ دون الله؟!

كما قيل:

تحبُّ عدوِّي ثمَّ تزعمُ أنني... صديقُك، إنَّ الودَّ عنكَ لَعازِبُ

وبالجملة؛ فالحبُّ في الله والبغضُ في الله أصلٌ عظيمٌ مِنْ أصول الدِّين، يجبُ على العبد مراعاتُه؛ ولهذا جاء في الحديث: «أَوْثَقُ عُرَى الإِسْلاَمِ: الْـحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ»[١].

(١) رواه الطبراني بلفظ: «أَوْثَقُ عُرَى الإيمانِ المَوَالاةُ في الله والمعاداةُ في الله والحبُّ في الله والبُغْضُ في الله عَزَّ وَجَلَّ» وأحمد بلفظ: «إنَّ أَوْثَقَ عُرَى الإِسْلامِ أنْ تُحِبَّ في الله وتُبْغِضَ في الله»، ورواه غيرُهما بألفاظٍ متقاربة.

وكذلك أكْـثَـرَ اللهُ مِنْ ذكره في القرآن، قال الله تعالى: {لا يَتَّخِذِ الْمُـؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْـمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} [آل عمران: ٢٨].

قال بعضُ المفسرين: نُهُوا أنْ يوالوا الكافرينَ لقرابةٍ بينهم أو صداقةٍ قبل الإسلام أو غير ذلك مِنَ الأسباب التي يتصادَقُ بها ويتعاشر.

وقوله: (من دون المؤمنين) يعني: أنَّ لكم في موالاة المؤمنين مندوحةً[١] عن موالاة الكافرين، فلا تُؤثروهم عليهم.

(ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) أي: ومَنْ يتولَّ الكَفَرَةَ فليس مِنْ ولاية الله في شيء يقع عليه اسمُ الولاية، يعني أنه منسلخٌ مِنْ ولاية الله رأساً، وهذا أمر معقول؛ فإنَّ موالاة الولي وموالاة عدوِّه متنافيان.

وقوله: (إلا أنْ تتقوا منهم تقاة): رخَّص لهم في موالاتهم إذا خافوا ولم يُحسنوا معاشرتهم إلا بذلك، وكانوا معهم مقهورينَ لا يستطيعون إظهارَ العداوةِ والبغضاء لهم، فحينئذٍ تجوزُ المعاشرةُ ظاهراً والقلبُ

(١) مَنْدُوحَة: أي سَعَةٌ وفُسْحَة، كما في قول القائل: (إنَّ في المَعاريضِ لَـمَنْدوحةً عن الكذب) وأَراد: أَنَّ في التعريض بالكلام ما يستغني به الرجلُ عن الاضطرار إِلى الكذب المحض [انظر: لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري].

مطمئنٌّ بالعداوة والبغضاء، حتى يزول المانع، كما قال تعالى: {إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} [النَّحل: ١٠٦][1].

قال ابنُ عباس: "ليس التقية بالعمل، إنما التقية باللسان"، وقال أيضاً: "نهى اللهُ المؤمنينَ أنْ يُلاطفوا الكفَّارَ ويتخذوهم وَلِيْجَةً[2] مِنْ دون المؤمنين، إلا أنْ يكونَ الكفَّارُ عليهم ظاهرين؛ فيُظهرون لهم اللُّطف ويخالفونهم في الدين، وذلك قوله: (إلا أن تتقوا منهم تقاة)" ذكره ابن جرير وابنُ أبي حاتم[3].

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ} [آل عمران: ١١٨] الآية.

قال القرطبي: "أي لا تجعلوا خاصتكم وبطانتكم منهم"[4].

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذين آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

(١) انظر: الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المعروف بـ(تفسير الكشَّاف، أو تفسير الزمخشري)، لأبي القاسم محمود بن عمر الزَّمخشري الخوارزمي.

(٢) وَلِيجَةُ الرَّجل: بِطانَتُه ودُخلاؤه وخاصته، وفي التنزيل: {ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وَلِيجَة} أَي: ولم يتخذوا بينهم وبين الكافرين دَخِيلَةَ مَوَدّة [لسان العرب].

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، المعروف بـ(تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، و تفسير ابن أبي حاتم، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، المعروف بـ(تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الخزرجي القرطبي.

الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} [المائدة: ٥١-٥٦].

قال حذيفة (رضي الله عنه): "لِيتقِ أحدُكم أنْ يكونَ يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر! وتلا: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم)"[١].

وقال مجاهد في قوله: (فترى الَّذين في قلوبهم مرضٌ يسارعون فيهم)، قال: "هم المنافقون في مصانعة اليهود، وملاحاتهم واسترضاعهم أولادهم إياهم"[٢].

(١) تفسير الدُّر المنثور، لجلال الدين السُّيوطي.

(٢) المصدر السابق نفسه.

وقال علي (رضي الله عنه) في قوله: (أذلة على المؤمنين)، قال: "أهلُ رِقَّة على أهل دينهم"، (أعزة على الكافرين)، قال: "أهلُ غِلظة على مَنْ خالفهم في دينهم"[1]، وكذا نُقل معناه عن غير واحد مِنَ السلف.

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذين اتَّخَذُوا دِينكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذين أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ} [المائدة: ٥٧].

وقال تعالى: {تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذين كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ} [المائدة: ٨٠]، والآية بعدها.

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْـمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [التوبة: ٧٣].

فقد أمرَ اللهُ تعالى بجهاد الكفَّار والمنافقين مع دعواهم الإسلام، وأمر بالإغلاظ عليهم قولاً وفعلاً.

وقال ابنُ عباس (رضي الله عنهما) في الآية: (جاهد الكفَّار): "بالسيف"، و(المنافقين): "باللسان"، و(اغلظ عليهم) قال: "أَذهِبِ الرِّفقَ عنهم"[2].

(١) تفسير الطبري.

(٢) تفسير الدُّر المنثور.

وقال ابنُ مسعود (رضي الله عنه): (جاهد الكفَّار والمنافقين)، قال: "بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه، ولْيَلْقَه بوجهٍ مُكْفَهِر"، أي: عابِسٍ متغيِّرٍ مِنَ الغيظ والبُغض، ذكرهُ ابنُ أبي حاتم، وجاء معناه في حديث مرفوع رواه البيهقي في الشُّعب.

وقال تعالى: {لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ} [المجادلة: ٢٢].

فَنَفَى سبحانه وتعالى الإيمانَ عمَّنْ هذا شأنُه، ولو كانت مودَّتُه ومحبتُه ومناصحتُه لأبيه وأخيه وابنه ونحوهم، فضلاً عن غيرهم.

وقال تعالى: {وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذين ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ} [هود: ١١٣]، قال ابنُ عباس: {وَلا تَرْكَنُوا} قال: "لا تميلوا"، وقال عكرمة: "أنْ تُطيعوهم أو تودُّوهم أو تَصْطَنِعُوهم"[١]، ومعنى تصطنعوهم أي: تولُّوهم الأعمال، كمن يولِّي الفُسَّاقَ والفُجَّار.

وقال الثوري: ومنْ لاقَ لهم دَواة[٢]، أو بَرَى لهم قلماً، أو ناولهم قِرطاساً؛ دخل في هذا[٣].

(١) الدُّر المنثور.

(٢) لاقَ الدَّواةَ يَليقُها لَيْقَةً: أَصْلَحَ مِدادَها، والمدادُ: هو الـحِبْرُ السَّائلُ الَّذي يُكتَبُ به، والدَّواة: هي الـمَحْبَرة التي يُوضَعُ فيها الحبر [المعجم الوسيط، لمجموعة باحثين، وتاج العروس].

(٣) الورع، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني.

قال بعضُ المفسرين في الآية: "والنَّهيُ متناوِلٌ للانحطاط في هواهم، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم، ومجالستهم، وزيارتهم، ومداهنتهم، والرِّضا بأعمالهم، والتشبُّه بهم، والتَّزيِّي بزيِّهم، ومدِّ العين إلى زهرتهم، وذكرهم بما فيه تعظيمٌ لهم، وتأمَّل قوله: (ولا تركنوا)، فإنَّ الرُّكون هو الميل اليسير"[1].

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} [الممتحنة: ١].

وصحَّ أنَّ صَدْرَ هذه السورة نزل في حاطب بن أبي بلتعة، لـمَّا كتبَ إلى المشركينَ يُخبرهم بمسير رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) إليهم[2].

وجاء في تفسير قوله تعالى: {لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [الممتحنة: ٢٢]، أنها نزلت في أبي عبيدة بن الجراح، لما قَتَلَ أباه يوم بدر، كما رواه الطبراني وابن أبي حاتم والحاكم وغيرهم.

---

(١) تفسير الكشَّاف.

(٢) كما في صحيحي البخاري ومسلم.

وعن ابن جريج قال: "حُدِّثتُ أنَّ أبا قُحَافَة[1] سبَّ النَّبيَّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) فصَكَّه أبو بكر صَكَّةً سَقَطَ منها، فذكرَ ذلك للنَّبيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) فقال: أفعلتَ يا أبا بكر؟ فقال: والله لو كان السيفُ قريباً مني لضربتُه، فنزلتْ: (لا تجد قوماً) الآية"[2]، رواه ابنُ المنذر.

وهذا -واللهُ أعلم- في أول الإسلام، فإنَّ أبا قحافة أسلم عام الفتح، فلم يكن ليسبَّ النَّبيَّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) بعد الإسلام، وأبو بكر خرجَ مهاجراً مِنْ مكة ولم يعدْ إليها إلا بعدَ الإسلام في عُمْرَةٍ مع النَّبيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم).

وقالَ ابنُ عباس (رضي الله عنهما): "مَنْ أحبَّ في الله، وأبغضَ في الله، وعادى في الله، ووالى في الله، فإنما تُنال ولايةُ الله بذلك"، رواه ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم.

وفي حديث رواه أبو نُعَيْم وغيرُه عن ابن مسعود قال: قالَ رسولُ الله (صلَّى الله عليه وسلَّم): "أوحى اللهُ إلى نبيٍّ مِنَ الأنبياء أنْ قُلْ لِفلان العابد: أمَّا زهدُك في الدنيا فتعجَّلتَ راحةَ نفسك، وأما انقطاعُك إليَّ

---

(١) هو والدُ أبي بكر الصِّدِّيق، واسمُهُ: عثمان بن عامر التيمي القرشي، أسلمَ عام الفتح وتوفي في خلافة عمر (رضي الله عنهم) [الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني].

(٢) الدُّر المنثور، وكذلك أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري الواحدي.

فتعزَّزتَ به، فما عملتَ فيما لي عليك؟ قال: يا رب، وما لك عليَّ؟ قال: هل واليتَ لي ولياً، أو عاديتَ لي عدواً"[1].

وقال تعالى: {وَالَّذين كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} [الأنفال: ٧٣].

فَعَقَدَ تعالى الموالاةَ بين المؤمنين، وقَطَعَهَم مِنْ ولاية الكافرين، وأَخْبَرَ أنَّ الكفَّار بعضُهم أولياء بعض، وأنَّهم إنْ لم يفعلوا ذلك وقع مِنَ الفتنة والفساد الكبير شيءٌ عظيم! وكذلك يقع.

فهل يَتُمُّ الدِّينُ أو يُقامُ عَلَمُ الجهاد وعَلَمُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إلا بالحب في الله والبغض في الله، والمعاداة في الله والموالاة في الله؟!

ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة، ومحبة مِنْ غير عداوة ولا بغضاء؛ لم يكن فرقٌ بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفَّار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

والآيات في هذا كثيرة، وأما الأحاديث:

فروى أحمد عن البراء بن عازب: «أَوْثَقُ عُرَى الإِسْلاَمِ: الْحُبُّ فِي الله وَالْبُغْضُ فِي الله».

---

(١) حلية الأولياء، لأبي نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني.

وفي حديثٍ مرفوع: «اللَّهـمَّ لا تجعلْ للفاجـر عندي يَدَاً ولا نِعمةً فَيَودُّهُ قلبي؛ فإني وجدتُ فيما أُوحي إليَّ: {لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ} » رواه ابنُ مَرْدَوَيْه وغيرُه.

وعن أبي ذرٍّ مرفوعاً: «أفضلُ الأعمال: الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ» رواه أبو داود، ورواه أحمد مطوَّلاً.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعاً: «المرءُ مَعَ مَنْ أَحَب».

وعن ابن مسعود مرفوعاً: «لا تُصاحِبْ إلا مُؤمِناً، ولا يَأْكُلْ طَعَامَك إلا تَقِي» رواه ابنُ حبان في صحيحه.

وعن علي مرفوعاً: «لا يُحِبُّ رَجُلٌ قوماً إلا حُشِرَ معهم» رواه الطبراني بإسنادٍ جيد، قاله ابنُ المنذر.

وقد روى أحمدُ معناه عن عائشة بإسنادٍ جيد أيضاً، وعنها أيضاً مرفوعاً: «الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ الذرِّ[1] عَلَى الصَّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْماء، وَأَدْنَاهُ أَنْ تُحِبَّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الجَوْرِ أَوْ تُبْغِضَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ العَدْلِ، وَهَلِ الدِّينُ إلاَّ الحُبُّ فِي الله وَالْبُغْضُ فَي اللهِ؛ قَالَ الله تَعَالَى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ} الآية» رواه الحاكمُ وقال: صحيح الإسناد.

(١) الذَّر: هو النَّمْلُ الأَحمرُ الصغير، واحدتُها ذَرَّة [لسان العرب].

فقد جعل النَّبيُّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) في هذا الحديث الحبَّ على شيءٍ مِنَ الجَور -وإنْ قلَّ- والبغضَ على شيءٍ مِنَ العدل -وإنْ قلَّ- مِنَ الشرك، فلْيُحْذَرْ أشدَّ الحذر مِنْ موادَّة أعداء الله مِنَ الكفَّار والمنافقين.

وعن بُريدة مرفوعاً: «لا تَقولوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إنْ يَكُ سَيِّداً فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عزَّ وجل»، رواه أبو داود والنَّسَائي بإسنادٍ صحيح، ورواه الحاكم ولفظه: «إذا قالَ الرَّجُلُ لِلْمُنافِقِ: يا سَيِّدي، فقدْ أغْضَبَ رَبَّه عزَّ وجل» وقال: صحيح الإسناد.

وعن ابن مسعود مرفوعاً: «مَثَلُ الَّذي يُعِينُ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ كمَثَلِ بَعِيرٍ تردَّى في بِئْرٍ، فَهُوَ يَنْزِعُ مِنْهَا بِذَنَبِه» ورواه أبو داود وابنُ حبان.

قال المنذري: "ومعنى الحديث: أنه قد وقع في الإثم وهلكَ كالبعير إذا تردَّى في بئر، فصارَ ينزعُ بذَنَبِه فلا يقدر على الخلاص"[1].

والأحاديث في ذلك كثيرة.

(١) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، لأبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري.

فصل
في ذكر الآثار عن السلف

وهي كثيرة، فنذكر منها بعضها:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ} إلى قوله: {إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [آل عمران: ١١٨-١١٩] والآية بعدها.

قال ابنُ عباس (رضي الله عنهما) في الآية: "كان رجالٌ مِنَ المسلمينَ يواصلونَ رجالاً مِنَ اليهود، لِـمَا كان بينهم مِنَ الجِوار والحِلف في الجاهلية، فأنزل الله فيهم ينهاهم عن مباطنتهم لخوف الفتنة عليهم: {يَا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً}" رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وعنه أيضاً: (لا تتخذوا بطانة من دونكم)، قال: "هم المنافقون"، رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قيل له: إنَّ هنا غلاماً مِنْ أهل الحيرة، حافظاً كاتباً، فلو اتخذته كاتباً، قال: "قد اتخذتُ إذاً بِطانة مِنْ دون المؤمنين"، رواه ابن أبي شيبة.

وعن الربيع: (لا تتخذوا بطانة من دونكم)، قال: "لا تستدخلوا المنافقين تتولَّونهم دون المؤمنين"[1].

وفي تفسير القرطبي في الكلام على هذه الآية:

نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنينَ بهذه الآية أنْ يتخذوا مِنَ الكفَّار واليهود وأهل الأهواء دُخلاءَ وَوَلائِج[2]، يفاوضونهم في الآراء، ويُسنِدون إليهم أمورَهم.

ويقال: (كلُّ مَنْ كان على خلاف دينك ومذهبك؛ لا ينبغي أن تُخَادِنُه)[3].

قال القائل شعراً:

عن المرء لا تسألْ وسَلْ عنْ قرينه ... فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ يقتدي

وفي سنن أبي داود: عن أبي هريرة عن رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) قال: «الْـمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مِنْ يُخَالِلْ».

ورُويَ عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال: "اعتبروا الناس بأخْدَانهم"[4].

---

(١) تفسير الطبري.

(٢) الوَلائج: جمعُ وَلِيْجَة [تاج العروس]، وقد سبق بيان معنى الوليجة.

(٣) الْـخِدْن: الصديقُ والصاحب، والجمع أَخْدان، وفي التنزيل: {ولا مُتَّخِذاتِ أَخْدانٍ} يعني أَصدقاء، ويقال: خادَنَ يُخَادِن مخادنة [لسان العرب].

(٤) الإبانة الكبرى، لأبي عبد الله عبيد الله بن بطة العكبري.

ثم بيَّن الله تعالى المعنى الَّذي لأجله ورد النهيُ عن المواصلة، قال: (لا يألونكم خبالاً)، يعني: فساداً، يعني: لا يتركون فسادكم.

قال -القرطبي-: وقد مرَّ أبو موسى الأشعري على عمر (رضي الله عنهما) بِحَسَّابٍ، فدفعه إلى عمر فأعجبه، فقال لأبي موسى: أين كاتبُك يقرأ هذا الكتاب على الناس؟ فقال: إنه لا يدخل المسجد، فقال: لِـمَ أجُنُب هو؟ قال: إنه نصراني، قال: فانتهره، وقال: لا تُدْنِهم وقد أقصاهم الله، ولا تُكرمْهُم وقد أهانَهم الله، ولا تَأمَنْهُم وقد خوَّنهم الله.

ومن كتاب الإمام محمد بن وضاح، قال: جاء في الأثر: "مَنْ جَالَسَ صاحبَ بدعةٍ فقد مشى في هَدْم الإسلام".

وقال الأوزاعي: "كانت أسلافُكم تشهدُ عليهم -أي: على أهل البدع- ألسنتُهم، وتشمئزُّ منهم قلوبُهم، ويحذِّرون الناسَ بدعتَهم".

وقال الحسن: "لا تجالسْ صاحبَ بدعة، فإنه يُمرِضُ قلبَك".

وقال إبراهيم: "لا تجالسوا أهلَ البدع، ولا تكلموهم، فإني أخاف أنْ ترتدَّ قلوبُكم"، وروى هذه الآثار ابنُ وضاح.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب (رحمه الله): واعلم -رحمك الله- أنَّ كلامَ السلف في معاداة أهل البدع والضلالة؛ في ضلالةٍ لا تُخرج عن الملَّة[1]. انتهى كلامه.

فإذا كان هذا كلام السلف، وتشديدُهم في معاداة أهل الضلالات، ونهيُهم عن مجالستهم، فما ظنُّك بمجالسة الكفَّار والمنافقين وجُفاةِ الأعراب الَّذين لا يؤمنون بالله ورسوله، والسَّعيِ في مصالحهم، والذبِّ عنهم، وتحسينِ حالهم، مع كونهم بين اثنتين: إما كافر أو منافق، ومَنْ يهتم بمعرفة الإسلام منهم قليل.

فهذا مِنْ رؤوسهم وأصحابهم، وهو معهم يُحشرُ يوم القيامة، قال تعالى: {احْشُرُوا الَّذين ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ} [الصافات: ٢٢][2]، وقال تعالى: {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} [التكوير: ٧][3]، وقد تقدَّم الحديث: «لا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوماً إلا حُشِرَ مَعَهُم».

(١) مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، لأبي عبد الله محمد بن عبد الوهَّاب التميمي النجدي.

(٢) قال ابنُ كثير في تفسير قوله تعالى: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ}: قال النعمان بن بشير: يعني بأزواجهم: "أشباههم وأمثالهم"، وكذا قال ابنُ عباس وسعيد بن جُبَيْر وعِكْرِمة ومجاهد والسُّدِّي وأبو صالح وأبو العالية وزيد بن أسلم وغيرهم. وعن النعمان قال: سمعت عمر يقول: "يجيء صاحبُ الربا مع أصحاب الربا، وصاحب الزنا مع أصحاب الزنا، وصاحب الخمر مع أصحاب الخمر".

(٣) قال ابنُ كثير في تفسير قوله تعالى: {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} أي: جَمْعُ كلِّ شكلٍ إلى نظيره، كقوله: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ}. قال ابنُ أبي حاتم في تفسيره: وذلك بأنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: {وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} [الواقعة: ٧-١٠]، قال: =

فصل
في التنبيه على حاصل ما تقدَّم

قد نهى اللهُ سبحانه عن موالاة الكفَّار، وشدَّدَ في ذلك، وأخبرَ أنَّ مَنْ تولَّاهم فهو منهم، وكذلك جاءتِ الأحاديثُ عن النَّبيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم)، وأخبرَ النَّبيُّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) أنَّ مَنْ أحبَّ قوماً حُشر معهم.

ويُفهم ممَّا ذكَرنا مِنَ الكتابِ والسُّنَّة والآثار عن السلف أمورٌ مَنْ فعلَها دخلَ في تلك الآيات، وتعرَّض للوعيد بِمَسِيس النار، نعوذُ بالله مِنْ موجبات غضبه وأليم عقابه.

أحدُها: التولِّي العام.

الثاني: المودَّةُ والمحبَّةُ الخاصة.

الثالث: الرُّكونُ القليل، قال تعالى: {وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً إِذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْـمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ

= هم الضُّرباء. وعن عُمَر أنه قال في: {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ}: "يُقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، فذلك تزويج الأنفس"، وفي رواية عنه أنه قال للناس: "ما تقولون في تفسير هذه الآية: {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ}؟" فسكتوا، قال: "ولكن هو الرجل يُزوَّج نظيره من أهل الجنة، والرجل يزوج نظيره من أهل النار، ثم قرأ: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ}".

لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً} [الإسراء: ٧٤-٧٥]، فإذا كان هذا الخطاب لأشرفِ مخلوقٍ (صلوات الله وسلامه عليه)؛ فكيف بغيره؟!

الرابع: مداهنتُهم ومداراتُهم، قال الله تعالى: {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم: ٩].

الخامس: طاعتُهم فيما يقولون وفيما يُشِيرون، كما قال تعالى: {وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً} [الكهف: ٢٨]، وقال تعالى: {وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ} [القلم: ١٠].

السادس: تقريبُهم في الجلوس، والدخول على أمراء الإسلام.

السابع: مشاورتهم في الأمور.

الثامن: استعمالُهم في أمرٍ مِنْ أُمور المسلمين، أيِّ أمرٍ كان، إمارة أو عمالة أو كتابة أو غير ذلك.

التاسع: اتِّخاذُهم بِطانةً مِنْ دون المؤمنين.

العاشر: مجالستُهم ومزاورتهم والدخولُ عليهم.

الحادي عشر: البَشَاشَةُ لهم والطَّلاقة.

الثاني عشر: الإكرامُ العام.

الثالث عشر: استئمانهم وقد خوَّنهم الله.

الرابع عشر: معاونتُهم في أمورهم ولو بشيءٍ قليل، كَبَرْيِ القلم وتقريبِ الدَّواة لِيكتبوا ظلمَهم.

الخامس عشر: مناصحتُهم.

السادس عشر: اتِّباعُ أهوائهم.

السابع عشر: مصاحبتُهم ومعاشرتُهم.

الثامن عشر: الرِّضاءُ بأعمالهم، والتشبُّهُ بهم والتزيِّي بزيِّهم.

التاسع عشر: ذِكرُ ما فيه تعظيمٌ لهم، كتسميتهم ساداتٍ وحُكماء، كما يُقال للطواغيت: السيِّد فلان، أو يُقال لمن يدَّعي علم الطب: الحكيم، ونحو ذلك.

العشرون: السُّكنى معهم في ديارهم، كما قال (صلَّى الله عليه وسلَّم): «مَنْ جَامَعَ الْـمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَهُوَ مِثْـلُه».

إذا تبيَّن هذا؛ فلا فرقَ في هذه الأمور بينَ أنْ يفعلَها مع أقربائه منهم أو مع غيرهم، كما في آية المجادلة، وحينئذٍ فالَّذي يتسبَّبُ بالدَّفع عنهم حميةً؛ إما بطرح نكالٍ أو دفنِ نقائصِ المسلمين، أو يُشيرُ بكفِّ المسلمينَ عنهم؛ مِنْ أعظمِ الموالينَ المحبينَ للكفار، مِنَ المرتدِّين والمنافقين وغيرهم، خصوصاً المرتدِّين، ينبغي أنْ تكون الغِلظَةُ عليهم أشدَّ مِنَ

الكافر الأصلي، لأنَّ هذا عادى اللهَ على بصيرة، وعادى رسوله (صلَّى الله عليه وسلَّم) بعدما عرفَ الحق، ثم أنكره وعاداه، والعياذ بالله.

فإذا كانَ مَنْ أعانَ ظالماً فقد شاركَه في ظلمه؛ فكيف بمَنْ يعينُ الكفَّارَ والمنافقينَ على كفرهم ونفاقهم؟!

وإذا كان مَنْ أعان ظالماً مسلماً في خصومة ظُلم عند حاكم شريكاً للظالم؛ فكيف بمَنْ يعينُ الكفَّار ويذبُّ عنهم عند الأمراء؟!

وإذا كان الـحَرَامِيَّة الَّذين يأخذونَ أموالَ الناس، إذا بذلوا للأمير مالاً على أنْ يكفَّ عنهمْ فَهو رئيسُهم؛ فما ظنُّك بمَنْ يُسِرُّ إلى الكفَّار بالمودَّةِ ويعلمُهم أنه يحبهم، ليواصلوه ويكرموه؟! كما نصَّ على ذلك شيخُ الإسلام ابنُ تيمية (قدَّس الله روحه) وغيرُه.

ولكنَّ طرحَ النَّكال، إنْ كان عن مسلمٍ مظلوم، فالشفاعةُ فيه والسَّعْيُ في إسقاطه بالرأي ونحوه حَسَن، وإنْ كان عن مرتدٍّ فلا لَعَاً لِعثرته ولا كرامة[1].

ويكفي في ذلك ما رواه أحمد والترمذي وحسَّنه، وابنُ أبي حاتم والطبراني والحاكم وصحَّحه، عن ابن مسعود قال: لـمَّا كانَ يومُ بَدْر

---

(١) لَعَاً: كلمة يُدعَى بها للعاثر، فإذا دُعي للعاثر بأَن ينهض قيل: لَعَاً لك، وإذا أرادوا الدعاء عليه قالوا: لا لَعَاً لفلان، أَي لا أَقامه الله، قال الأخطل: فلا هدى الله قيسا من ضلالتها...ولا لعاً لبني ذكوان إذ عثروا [الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلام، ولسان العرب].

جِيءَ بالأسرى، وفيهم العباس، فقال رسولُ الله (صلَّى الله عليه وسلَّم): «ما تأمرونَ في هؤلاء الأسرى؟» فقال أبو بكر: "قومُك يا رسولَ الله وأهلُك، فاستبقْهم لعلَّ اللهَ يتوبُ عليهم"، وفي حديث أنس عن أحمد: "نرى أنْ تعفوَ عنهم، وتَقبلَ منهم الفِداء"، وفي حديث ابن مسعود: فقال عمر: "يا رسولَ الله، كذَّبوكَ وأخرجوكَ وقاتلوكَ، قَدِّمهم فاضربْ أعناقَهم"، فدخلَ النَّبيُّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) ولم يَرُدَّ عليهم شيئاً، فخرجَ رسولُ الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) وقال: «يا أبا بكر: مَثلُك مَثَلُ إبراهيمَ (عليه السلام) قال: {فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [إبراهيم: ٣٦]، ومَثلُك يا عمر كَمَثَل نوحٍ (عليه السلام) قال: {رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً} [نوح: ٢٦]، أنتم عَالَة[1]؛ فلا ينفلتنَّ أحدٌ منهم إلا بفداءٍ أو ضَرْبِ عُنُق»؛ فأنزلَ الله: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} [الأنفال: ٦٧]، الآيتين، مختصراً.

(١) عالَ يَعيلُ عَيْلاً وعَيْلَةً: افتقرَ، ومنه قوله تعالى: {وَوَجَدكَ عائِلاً فَأَغْنى}، أي: ووجدكَ فقيراً فأزالَ عنكَ الفقر، ومنه الحديث: «أنْ تَدَعَ وَرَثَتكَ أَغْنِياءَ خيرٌ من أن تترُكَهم عالَةً يَتَكَفَّفون الناسَ»، وعالةً: أي فقراء [تاج العروس] ومناسبة قول النَّبيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) للصحابة (أنتم عالة-أنتم فقراء) هي أنهم كانوا بأمسِّ الحاجة للمال الذي سيحصلون عليه مِنْ فداء الأسرى، والله أعلم.

وفي حديث أنس: فأنزلَ الله: {لَوْلا كِتَابٌ مِنَ الله سَبَقَ} [الأنفال: ٦٨] الآية، وفي حديث ابن عمرَ عند أبي نُعيم: فلقيَ رسولُ الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) عمرَ فقال: «كادَ أنْ يُصيبنا في خِلافك شَر»، وفي رواية عنه -عند ابن المنذر وابن مردويه- فقالَ رسولُ الله (صلَّى الله عليه وسلَّم): «إنْ كادَ لَيمسُّنا في خلاف ابن الخطاب عذابٌ عظيم، ولو نزلَ عذابٌ ما أفلتَ إلا عمر».

فإذا كانَ هذا في رأيِ الصِّدِّيق (رضي الله عنه)، الَّذي اجتهدَ فيه ونَصَحَ لله ورسوله (صلَّى الله عليه وسلَّم)؛ فما ظنُّك بمَنْ يفعلُ ذلك مع قريبه حميةً دنيوية، لا لغرض دِينٍ ولا يقصدُ وجهَ الله بذلك، بل لا يقصد إلا الدنيا؟!

فإنْ قيل: فالنَّبيُّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) لم يذمَّ أبا بكر على التشبيه، بل شبَّهَهُ بإبراهيم وعيسى وميكائيل (عليهم السلام) وشبَّه عمر بجبريل ونوح وموسى (عليهم السلام)؟

قيلَ: المرادُ التشبيه في الموافقة في أهل اللِّين والرَّحمة، لا في خصوص هذه المسألة، فإنَّ الصواب فيها مع عمر قطعاً بكتاب الله، ومع ذلك توعَّد الله في أخذ الفداء بالعذاب، لولا ما سبقَ مِنْ كتابِ الله أنه رأيٌ للصدِّيق (رضي الله عنه) اجتهدَ فيه؛ فكيف بمَنْ ينصح لهم، ويرفق بهم، ويرى

الكفَّ عن القتال، ويُشير بإسقاط النَّكال عنهم مِنْ غير مسوِّغ شرعي، بل لمجرد المحبة الدنيوية؟!

وأما مَنْ يُشيرُ بكفِّ المسلمينَ عنهم، فإنْ كان مرادُه بذلك تأليفَهم على الدخول في الإسلام، أو دخلوا فيه، أو واعدوه بالدخول فيه عن قريب، وكانت المصلحة في تركهم قليلاً، ونحوه؛ يجوز ذلك، وإنْ كان المراد به أنْ لا يتعرَّض المسلمونَ لهم بشيء، لا بقتال ولا نكال وإغلاظ ونحو ذلك؛ فهو مِنْ أعظم أعوانهم، وقد حصلتْ لهُ موالاتُهم مع بُعْد الدِّيار وتباعد الأقطار، كما قيل:

سَهمٌ أصابَ وراميه بِذي سَلَمٍ...مَنْ بالعراقِ لقد أبعدتَ مَرمَاك[1]

وأما مَنْ يُشيرُ بترك نقائصِ المسلمينَ لهم إنْ كانوا مرتدِّين؛ فهذا عند الفقهاء مخطئٌ آثم، لأنه يجبُ على المرتد ضمان ما أتلفه للمسلمين في حال الرِّدَّة، خصوصاً مَنْ تكرَّرت منه الرِّدَّة مراراً، فإنه لا يقصد بذلك في هذا الزمان إلا الإغارة والنهب لا غير، فترك ذلك له مِنْ أعظم المعاونة على الإثم والعدوان؛ ولهذا لـمَّا صارَ هذا أمراً سائغاً عند بعض الناس، انفتحتْ للبِدْوَانِ[2] أبوابُ الرِّدَّة، وأتوها مُهْطِعين مِنْ كلِّ وَجه، ولو كان

(١) مَثَلٌ يُضربُ لبعد المسافة، و(ذو سَلَمَ) منطقة بالحجاز في الجزيرة العربية.

(٢) الـبِدْوَان: هم البدو.

هذا مصلحة في بعض الأوقات رآها بعض الأمراء، فلا يجبُ طَرْدُ ذلك لكلِّ أحدٍ في كلِّ زمان[1]، فاعلمْ ذلك.

(١) الطَّردُ هنا بمعنى: التَّتابع والاستمرار، فقولُك: اطَّرَدَ الشيءُ: أي تَبِعَ بعضُه بعضاً، واطَّرَدَ الكلامُ: إذا تتابَع، والمُطَّرِد هو المتتابع [لسان العرب]، وعبارة (لا يجب طرد ذلك لكل أحد) قصدَ منها الشيخ: لا يجبُ سحبُ ذلك الحكم السابق لكلِّ حالة في كل زمان بإطلاق.

فصل

وأما قول السائل: هل يكونُ هذا موالاة نفاق؟ أم يكونُ كفراً؟

فالجواب: إنْ كانت الموالاةُ مع مُساكَنتهم في ديارهم، والخروج معهم في قتالهم، ونحو ذلك؛ فإنه يُحكمُ على صاحبها بالكفر، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة: ٥١]، وقال تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ} [النِّساء: ١٤٠]، وقال النَّبيُّ (صلَّى الله عليه وسلَّم): «مَنْ جَامَعَ الْـمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَهُوَ مِثْـلُه»، وقال: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ مُقِيمٍ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ»، رواهما أبو داود.

وإنْ كانت الموالاة لهم وهو في ديار الإسلام إذا قَدِموا عليهم، ونحو ذلك؛ فهذا عاصٍ آثمٌ متعرِّضٌ للوعيد.

وإنْ كانت موالاتُهم لأجل دنياهم؛ يجبُ عليه مِنَ التعزير بالهَجْر والأدب ونحوه ما يَـزْجُر أمثالَه[1].

(١) من الضروري التنبيه على وجود طبعة ورقية من كتاب أوثق عرى الإيمان طبعتها ونشرتها دارُ القاسم بالدَّمَّام، والطبعة متداوَلة في مواقع الإنترنيت مصوَّرة بصيغة (pdf)، وقد ورد فيها خطأ فاحش، ففي الصفحة (٤٩) منها جاء ما نصه: "وإنْ كانت موالاتُهم لأجل دينهم؛ يجبُ عليه مِنَ التعزير بالهَجْر والأدب ونحوه ما يَـزْجُر أمثالَه"، وحاشا سليل التوحيد الخالص الشيخ سليمان أنْ يُنسبَ إليه مثل هذا الكلام؛ وهو الذي قُتلَ شهيداً -كما نحسبه- من أجل ولائه للموحِّدين ومعاداته للمرتدِّين.

وإنْ كانت الموالاة لأجل دينهم؛ فهو مثلُهم، ومَنْ أحبَّ قوماً حُشر معهم.

ولكنْ لِيتفكرِ السائل في قوله: حميةً دنيوية، هل يُمكنُ هذا إلا بِدَاعٍ مِنَ المحبة في قلبه، وإلَّا فلو كان يُبغِضُهم في الله ويعاديهم؛ لَكَانَ أقرَّ شيءٍ لِعَينهِ ما يُسخِطُهم، ولكنْ كما قال ابنُ القيم:

أتحبُّ أعداءَ الحبيبِ وتدَّعي... حُبّـاً له، ما ذاكَ في إمكانِ

وأما قول السائل: فإنْ كانَ ما يقدرُ مِنْ نفسهِ أنْ يتلفَّظَ بتكفيرهم وسبِّهم، ما حكمه؟

فالجواب: لا يخلو ذلك عنْ أنْ يكونَ شاكّـاً في كُفرهم أو جاهلاً به، أو يُقرُّ بأنَّهم كَفَرَةٌ هُمْ وأشباهُهم، ولكنْ لا يَـقْدِرُ على مواجهتهم وتكفيرهم، أو يقول: أقولُ: غيرُهم كافر، لا أقول إنهم كفار.

فإنْ كان شاكّـاً في كفرهم أو جاهلاً بكفرهم؛ بيَّنتَ له الأدلَّة مِنْ كتاب الله وسنة رسوله (صلَّى الله عليه وسلَّم) على كفرهم، فإنْ شكَّ بعد ذلك أو تردَّدَ؛ فإنه كافرٌ بإجماع العلماء على: (أنَّ مَنْ شكَّ في كُفرِ الكافر فهو كافر).

وإنْ كانَ يُقِرُّ بكفرهم، ولا يقدِرُ على مواجهتهم بتكفيرهم، فهو مداهِنٌ لهم، ويدخل في قوله تعالى: {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم: ٩]، وله حكم أمثاله مِنْ أهل الذنوب.

وإنْ كانَ يقول: أقولُ: غيرُهم كفار، ولا أقول هم كفار؛ فهذا حُكْمٌ منه بإسلامهم، إذ لا واسطة بين الكفر والإسلام، فإنْ لم يكونوا كفاراً فهم مسلمون؛ وحينئذٍ فَمَنْ سَمَّى الكُفرَ إسلاماً أو سمَّى الكفَّار مسلمينَ فهو كافر، فيكون هذا كافراً.

وأما قوله: إذا عرفتَ هذا مِنْ إنسانٍ ماذا يجبُ عليك؟

فالجواب: يجبُ عليك أنْ تنصحه، وتدعوه إلى الله سبحانه وتعالى، وتُعَرِّفَه قبيحَ ما ارتكبه؛ فإنْ تابَ فهذا هو المطلوب، وإنْ أصرَّ وعاندَ فله حكمُ ما ارتكبَهُ: إنْ كانَ كُفراً فكافر، وإنْ كان معصيةً أو إثماً فعاصٍ آثم، يجبُ الإنكارُ عليه وتأديبُه، وهجرُه وإبعادُه حتى يتوب، وقد هجر النَّبيُّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) مَنْ تخلَّف عنْ غزوةٍ واحدة، ونهى عن كلامهم والسلام عليهم؛ فكيف بمَنْ يوالي الكفَّار ويُظهر لهم المودة؟!

فإنْ قيل: ما ذكرتُم مِنَ الآياتِ والأحاديثِ والآثارِ مُعَارَضٌ بقوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذين لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ

عَنِ الَّذين قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الممتحنة: ٨-٩].

فدلَّتِ الآياتُ على أنَّ بِرَّ ضَعَفَةِ الكفَّارِ لا بأسَ به، إذا لم يكن مع ولايتهم، بل عداوتهم.

وكذلك الصحابة، الَّذين تكلَّموا في مالك بنِ الدُّخْشُم، وقال بعضُهم: "إنه منافق"، فقال رسولُ الله (صلَّى الله عليه وسلَّم): «أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ الله» قالوا: بلى ولكنَّا نرى نصيحته للمنافقين فقال: «فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله» أو كما قال، فهو في البخاري ومعناه في مسلم.

وكذلك أُناسٌ مِنَ الصحابة، لهم آباءُ منافقون، كعبد الله بن عبد الله بن أُبي، ولم يُنقل عنهم عداوتُهم والغضبُ عليهم وإظهارُ العَبُوسَة في وجوههم ونحو ذلك.

فالجواب: أما قوله تعالى: (لا ينهاكم الله عن الَّذين لم يقاتلوكم في الدين) الآية فإنَّ معناها: أنَّ الله لا ينهى المؤمنينَ عن برِّ مَنْ لم يقاتلهم مِنَ الضعفاء والمساكين (كالنِّساء والصبيان) في أمر الدنيا، كإعطائهم إذا سألوك ونحو ذلك.

وأما موالاتُهم ومحبتُهم وإكرامُهم؛ فلم يُرخِّصِ اللهُ تعالى في ذلك، بل شدَّد في موالاة الكفَّار مِنَ اليهود والنصارى ولو كانوا أهلَ ذِمَّة، حتى نهى النَّبيُّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) عن بَداءتهم بالسلام والتوسعة لهم في الطريق، وقال: «لا تَبْدَؤوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلام، وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ»[1]، وهكذا حالُ الـمُعاهد.

فأما الكافر الحربي، والمرتد، فأين الرخصة في شيء مِنْ ذلك؟!

وقد نَصَّ على أنَّ هذه الآية في النِّساءِ ونحوِهم ابنُ كثير.

وقال غيرُه مِنَ المفسرين: هذه أيضاً رحمةٌ منه لهم -أي للمؤمنين- لِتشَدُّدِهم وجِدِّهم في العداوة، حيث رخَّصَ لهم في صِلة مَنْ لم يجاهر بقتال المسلمين وإخراجهم مِنْ ديارهم.

وقيل: أرادَ بهم خُزاعة، وكانوا صالحوا رسولَ الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) على أنْ لا يقاتلوه ولا يُعينوا عليه.

وعن مجاهد: هم الَّذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا.

وقيل: هم النِّساء والصبيان.

(١) رواه البخاري ومسلم.

وعن قتادة: نَسَخَتْها آيةُ القتال. انتهى[1]، يعني قوله: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة: ٥].

وهذه الآية -على ما ترى- قيل: إنها منسوخة كما قال قتادة، وقيل: إنها في النِّساء والصبيان خاصة، وقيل: هي في مَنْ أسلم ولم يهاجر؛ فيجوزُ بِرُّهم بإعطائهم مِنْ متاع الدنيا.

فأين في الآية ما يدلُّ على جواز موالاة الكفَّار والمرتدِّين ومحبتهم والقيام معهم في كل وجه؟!

والجواب عن حديث مالك بن الدُّخْشُم: أنَّ مالك بن الدُّخْشُم ممَّن شَهِدَ بدراً، وقد جاء في الصحيح أنَّ الله تعالى قال لأهل بدر: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُم»[2].

وليس بأعظم مِنْ قصة حاطب بن أبي بلتعة، لـمَّا كتب إلى المشركين يُخبرهم بمسير رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم)، فهذا جَسٌّ مِنْ حاطب.

وقد تنازع العلماء في قتل الجاسوس المسلم، ولم يكن ذلك دليلا على جواز مكاتبة المشركين بأسرار المسلمين.

(١) تفسير الكشَّاف.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

كذلك حديث مالك لا يدل على أنَّ مجالسةَ المنافقينَ ونصيحتَهم أمرٌ جائز، لكنْ يُقال -والله أعلم-: (هذا ذنبٌ كُفِّر بشهوده بدراً؛ كما كُفِّر ذنبُ حاطب بذلك).

والجواب عن أمر عبد الله بن عبد الله بن أُبي: أنَّ عبد الله بن عبد الله له الأيام البيض، والعداوة الظاهرة لأبيه عبد الله بن أُبي، ما لا يخفى على أحدٍ مِنْ أهل العلم، حتى أنه استأذن رسولَ الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) في قتله، فلم يأذنْ له رسولُ الله (صلَّى الله عليه وسلَّم)؛ فكيف يحتجُّ أحدٌ بما لا دليلَ فيه لقوله؟! بل هو على نقيض مقصوده أولى، والله أعلم.

خاتمة

في فضل الحبِّ في الله تعالى

قال الله تعالى: {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْـمُتَّقِينَ} [الزخرف: ٦٧]، وقال تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا} [الفرقان: ٢٧-٢٨]، فهذا شأنُ كلِّ محبَّةٍ في الدنيا على غير طاعة الله.

وعن أنس (رضي الله عنه) عن النَّبيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْداً لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّار» رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النَّبيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم): «إِنَّ الله تَعَالَى يقولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلالِي؟ اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلِّي» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة عن النَّبيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم): «أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ في قَرية أُخْرَى، فَأَرْصَدَ الله تَعَالَى عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً، فَلَـمَّا أَتى عَلَيهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيد؟ قَالَ: أُرِيدُ أخاً لي في هذِهِ القَريَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيهِ مِنْ

نِعْمَةٍ تَرُبُّـهَا عَلَيهِ؟ قَالَ: لا، غَيْرَ أنِّي أحْبَبْتُهُ في الله تَعَالَى، قَالَ: فإنِّي رَسُولُ الله إلَيْكَ بِأنَّ الله قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيه» رواه مسلم.

الـمَدْرَجَة: الطريق، وتَرُبُّهَا: أي تقومُ بها وتسعى في صلاحها.

وعن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: سمعتُ رسولَ الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) يقول: «قَالَ الله تَعَالَى: وَجبَتْ محَبَّتي لِلْمُتَحَابِّين فيَّ، وَالـمُتَجَالِسينَ فيَّ، وَالـمُتَـزَاوِرِينَ فيَّ، وَالـمُتَـبَاذِلِينَ فِيَّ» رواه مالك بإسنادٍ صحيح.

وعنه أيضاً قال: سمعتُ رسولَ الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) يقول: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: الـمُتَحَابُّونَ فِي جَلاَلِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ» رواه الترمذي وقال: حَسَنٌ صحيح.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قالَ رسولُ الله (صلَّى الله عليه وسلَّم): «إنَّ مِنْ عِبَادِ الله عِباداً لَيْسُوا بِأَنْبِيَاء، يَغْبِطُهُمْ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ، لَعَلَّنَا نُحِبُّهُم؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ الله، مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلاَ أَنْسَاب، وُجُوهُهُمْ نُور، عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُور، لاَ يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلاَ يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاس، ثُمَّ قَرَأَ: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} » رواه النَّسَائي، وابنُ حِبَّان في صحيحه وهذا لفظه.

وعن أبي أُمامة (رضي الله عنه) قال: قالَ رسولُ الله (صلَّى الله عليه وسلَّم): «إنَّ لله عِباداً يُجْلِسُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ على مَنَابِرَ مِنْ نُوْر، وَيَغْشَى وجوهَهُمُ النُّور، حتى يَفْرُغَ مِنْ حِسَابِ الخَلَائِق» رواه الطبراني بإسنادٍ جيد.

وعنه أيضاً، عن النَّبيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) قال: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَعُمُداً مِنْ يَاقُوتٍ، عَلَيْهَا غُرَفٌ مِنْ زَبَرْجَدٍ، لَهَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، تُضِيءُ كَمَا يُضِيءُ الْكَوْكَبُ الدُّرِّي»، قُلْنَا: يَا رَسُولُ الله، مَنْ يَسْكُنُهَا؟ قَالَ: «الْـمُتَحَابُّونَ فِي الله عَزَّ وَجَلَّ، وَالْـمُتَجَالِسُونَ فِي الله عَزَّ وَجَلَّ، وَالْـمُتَلاقُونَ فِي الله عَزَّ وَجَلَّ» رواه البَـزَّار.

وعن أبي أُمامة (رضي الله عنه) أنَّ رسولَ الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) قال: «مَنْ أَحَبَّ لله، وَأَبْغَضَ لله، وَأَعْطَى لله، وَمَنَعَ لله؛ فَقَدِ استَـكملَ الإيمانَ» رواه أبو داود.

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: جاءَ رجلٌ إلى رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) فقال: يا رسولَ الله، كيف ترى في رجلٍ أحبَّ قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسولُ الله (صلَّى الله عليه وسلَّم): «المرءُ مَعْ مَنْ أَحَب» رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي الدَّرداء (رضي الله عنه) يرفعُه[1] قال: «ما مِنْ رَجُلَيْنِ تَـحَابَّا في الله تعالى بِظَهرِ الغَيبِ إلا كانَ أَحَبُّهما إلى الله تعالى أشدَّهما حُبَّاً لصاحبه» رواه الطبراني بإسنادٍ جيد.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قالَ رسولُ الله (صلَّى الله عليه وسلَّم): «سَبعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِل، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّه، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْـمَسَاجِد، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي الله، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْه...» الحديث، رواه البخاري ومسلم.

وعن معاذ بن أنس (رضي الله عنه) أنه سألَ رسولَ الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) عن أفضلِ الإيمان؟ قال: «أَنْ تُحِبَّ لله وَتُبْغِضَ لله وَتُعْمِلَ لِسَانَكَ فِي ذِكْرِ الله»، قال: وماذا يا رسولَ الله؟ قال: «وَأَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَتَـكْرَهَ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ» رواه أحمد.

فليتأمَّلِ النَّاصحُ لِنفسه هذه الأحاديث الصحيحة، المتواردة على وتيرةٍ واحدة، في خصوص هذه المسألة التي هي: **(الحبُّ في الله والبغضُ في الله)**، الَّذي لا يَعُدُّه أكثرُ النَّاس عملاً صالحاً، فضلاً عن كونه يعتقدُ أنه

(١) يعني إلى النَّبيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم).

مِنْ أفضل الأعمال الصالحة، فضلاً عن كونه يعتقدُ أنه مِنْ فرائض الأعيان، فاللهُ المستعان.

وصلَّى الله على محمَّد وآله وصحبه وسلم تسليما

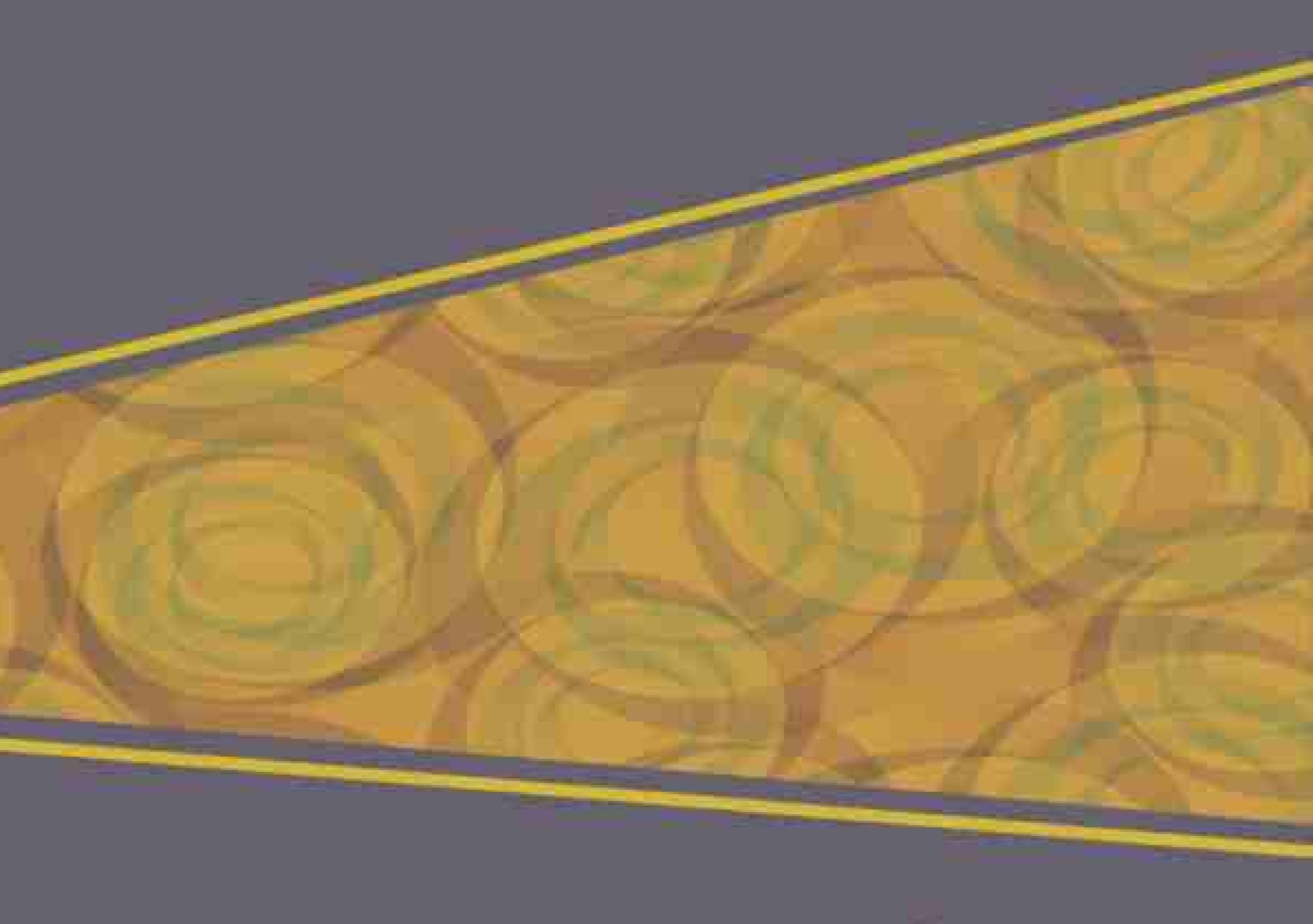
❋ ❋ ❋

انتهى كلامُ الشيخ سليمان (رحمه الله)





مطابع الدَّولة الإسلاميَّة
ذو الحجّة ١٤٣٦هـ



طبع في مطابع الدولة الإسلامية
ذو الحجة ١٤٣٦ هـ